بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة، بعنوان:

شرف الدفاع عن الوطن

وجهاد العلم والبناء والإعمار والاصطفاف الوطني

أشكال الدفاع عن الوطن وقت السلم

واجبنا نحو شباب الأمة في ظل التحديات المعاصرة

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ١١ ربيع الثانى ١٤٤٧هـ، الموافق ٣ أكتوبر ٢٠٢٥م

موقع صوت الدعاة - صفحة معارج الدعاة

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى وبخاصة النبي المصطفى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبده ورسوله.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه.. اللهم صلّ أفضل صلاة، على أسعد مخلوقاتك، سَيِّدِنَا محمد (ﷺ)، وعلى آله وصحبه؛ عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، ورضى الله عن مشايخنا ووالدينا وأولادنا وأزواجنا، والصالحين من عبادك، وأولياء الله أجمعين.

اللهم صلّ صلاة كاملة، وسلم سلامًا تامًّا، على نبى تنحلُ به العُقد، وتنفرج به الكُرب، وتقضى به الحوائج، وتُنالُ به الرغائب، وحُسنُ الخواتيم، ويستسقى الغمامُ بوجه الكريم. وعَلَى آلِهِ الطاهرين، وصحبِه الطيبين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا... اللهم آمين يا رب العالمين.

فَمَبْلَغُ العِلْـمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ... وَأَنَّهُ خَيْـرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِـمِ

مولاي صلِّ وسلم دائما أبدًا... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ..) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

وقال تعالى: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣). أما بعد...

في البداية أهنئ الشعب المصري العظيم، قيادةً وحكومةً وشعبًا أصيلاً، كما أهنئ الأمتين العربية والإسلامية بذكرى نصر السادس من أكتوبر المجيد، ونسأل الله أن ينصر المستضعفين في فلسطين وغيرها، ويؤيد الحق وأهله، ويجعل مصرنا الغالية واحة للأمن والأمان والسلام والاستقرار...

أيها المؤمنون:

لقد فضَّلَ اللهُ (سبحانه وتعالى)

- بعضَ **الأماكن** على بعض.
- وبعضَ **الأزمنة** على بعض.
- وبعضَ **الأوقات** على بعض.
- وبعضَ **الأيام** على بعض.
- وبعضَ **الليالي** على بعض.
- وبعضَ **الأحوال** على بعض.
- وبعضَ **الرسل** على بعض.
- وبعضَ **الأمم** على بعض.
- وبعضَ **الناس** على بعض.
- وبعضَ **الملائكة** على بعض.
- وبعضَ **الأعمال** على بعض...

ومن ذلك:

- ✓ **العبادات والشعائر** التي فرضها الله (سبحانه وتعالى) على عباده، والتي: تحقق صلاح الشخص، وإصلاحه، وتزرع القيم في نفسه وقلبه ووجدانه، وتعزز من قدراته على البناء والإبداع والإتقان وترقية الحياة.
- ✓ **العمل الجاد النافع** (عمومًا)، والعمل النافع المستدام (خصوصًا) الذي يمتد أثره ونفعه؛ لنفع الدين، الإنسان والأوطان والأمة والعالم والأجيال.
- ✓ **طلب العلم ونشره وتعليمه**؛ لأنه نور يهدي ويصلح ويرقق، وزاد يرفع ويرقى، ورسالة تبني وتشيد حضارة.
- ✓ **بر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى خلق الله (سبحانه وتعالى)**، فهي عبادة وخُلُق وأمانة ومسؤولية أمام الله، وهي أيضًا لبنة في بناء مجتمع متماسك متراحم، يبدأ من أقرب الأقربين وهم أحق الناس بالرعاية والعناية والاهتمام، ثم تمتد لتظلل الآخرين (الأقرب فالأقرب، ثم الأبعد؛ لتصل إلى كل خلق الله ومخلوقات الله...).
- ✓ **خدمة الناس وقضاء حوائجهم**، فالناس عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.
- ✓ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، فهو سياج القيم وضمانة لحياة نقية فاضلة فاعلة.

- ✓ **الإبداعات والمتبكرات والمخترعات النافعة**، التي ترفع من شأن المجتمع والأمة والإنسانية، وتحقق الرفاهية للناس.
- ✓ **شرف الدفاع عن الوطن**: بالروح والدم، والفكر، والعمل، والإبداع، والمال، وبالكلمة الطيبة الصادقة التي تنفع الناس، وبمواجهة الشائعات، وبكل أمر يسهم في ذلك، وهو واجب شرعي ووطني، تحفظ به الحرمات، وتصان به الكرامات، وتبقى به الهوية والأوطان.

ما الوطن؟

هل الوطن قطعة من الأرض محددة بخطوط الطول ودوائر العرض فحسب.

الجواب: كلا.. فالوطن مفهوم كبير وواسع وشامل.

ماذا تعني كلمة "وطن"؟:

- **الوطن هو:** التاريخ الذي نحمله في ذاكرتنا، والحضارة التي نفخر بها، وهو حاضرنا الذي نعيشه ومستقبلنا الذي نرجوه.
- هو الأمن، والأمان، والتراث، والثقافة، والعادات والتقاليد والأصول المرعية..
- هو التنوع، والتعددية، والتكامل...
- هو العمل، والأمل، والازدهار والترقي...
- هو الراحة، والسكينة، والطمائنية...
- هو الأسرة، والعلاقات الطيبة البانية المتمتدة التي تريح النفس والحياة.
- هو الظلال والمظلة الكبرى التي تحمينا ونحتمي فيها جميعًا من عوادي الزمن وعواصف الأعداء.
- وهو السماء التي تأوينا، والأرض التي تحوينا وتحتضن الإنسان منذ مولده؛ يمشي عليها ويعيش فيها، ويبني عليها، ويأكل من خيرات الله فيها، ويستخرج ما في بطنها من ثروات وخيرات، ويحمل هويتها وانتماءها، ويعيش في كنفها آمنًا مطمئنًّا، ويدفن في ثراها إلى أن يشاء الله، ويُبعث منها إلى الحساب والجزاء يوم القيامة.

مثال حي على قيمة الوطن:

من أراد حقًّا أن يعرف قيمة الوطن، فلينظر حواليه، ويرى الأوطان التي عصفت بها الحروب، وضاعت فيها الهُوية، وتشرد أهلها بين المنافي والخيام.

فلينظر إلى **الطفل** الذي كان يمرح في شوارع بلده، فإذا به يحمل حقيبة النزوح بدلا من حقيبة المدرسة.

وهنا نتذكر الطفل الفلسطيني البطل، الذي كان يسير حافيَ القدمين، حاملًا شقيقته الصغيرة على كتفيه فرارا بها من الأعداء، أثناء نزوحهم الإجباري تحت أصوات القنابل والصواريخ والانفجارات إلى جنوب قطاع غزة.

ويا له من موقفٍ يشيب له الولدان: (صغيرٌ يحملُ صغيرةً)، ولقد تلقفته يدُ مصر (أم الدنيا الحانية) الحانية بكل رعايةٍ وحنان.

ولينظر إلى **الأم** التي كانت تُطعم أولادها بكل حب في دفء بيتها، فإذا بها تبحث عن قوت يومها في المنافي.

ولينظر إلى **الشيخ** الذي كان يأنس بأحفاده، فإذا به يفتقد الدواء ويبحث عن يدٍ حانية تخفف ألمه.

ولينظر إلى **البيوت** التي كانت عامرة آمنة مطمئنة دافئة فقد صارت أطلالًا!!، والطرقات التي كانت تضج بالحياة صارت خاوية إلا من صدى الذكريات وآثار الدمار!!.

ولينظر إلى **المساجد** التي كانت تُطلق نداء الحق، فإذا هي وقد دمرها الأعداء، **والمستشفيات، والمدارس والمؤسسات** إذا هي ركام على ركام.

عندها فقط يدرك الشخص أن الوطن ليس مجرد أرض يُولد عليها، بل هو حياة كاملة: أمن وكرامة، وعقيدة وهُوية، وانتماء واطمئنان، وهو الحضن الذي يقي الإنسان حرارة العدوان، ومن مرارة الضياع وذل الغربة، إنه الملاذ الذي يجعل للحياة طعمًا ومعنى.. يحيا فينا ونحيا فيه..

لماذا كان الدفاع عن الوطن من أشرف الأعمال؟

إن الدفاع عن الوطن من أشرف الأعمال؛ لأنه:

- السياج الذي تُحفظ فيه العقيدة، وتُصان فيه العبادة، وتُحرس فيه الكرامة. فالوطن هو المهد الذي تُقام فيه الصلاة وتُرفع فيه راية التوحيد.
- وهو الساحة التي يزدهر فيها العمل ويثمر فيها الجهد والإنتاج.
- وهو الحاضن الذي تُبنى فيه الحضارة، وتُصان فيه الهوية، ويُحفظ فيه التراث والثقافة.

فإذا ضاع الوطن ضاعت معه مقومات الدين والدنيا، وإذا حُمي وصين كان أساسًا لقيام العبادة، وازدهار التنمية، واستمرار العزة والكرامة.

لذلك كان الدفاع عن الوطن من أشرف الأعمال وأعظم القربات؛ كما أنه سَيرٌ على خطى سيد المرسلين سيدنا محمد (ﷺ)، الذي أحب وطنه مكة وبكى لفراقها، وقال وهو يغادرها: (واللَّهِ إنّي أعلمُ أنَّكِ خَيرُ أرض اللَّهِ وأحبُّها إلى اللَّهِ ولَولا أنَّ أهلَكِ أخرَجوني مِنكِ ما خرَجتُ) [١].

وفي ذلك درس خالد وبليغ وملهم أن الوطن ليس مجرد قطعة أرض أو حفنة من التراب كما يقول السفهاء، بل هو هوية وذاكرة وإيمان ماضي وحاضر ومستقبل.

وحين هاجر النبي (ﷺ) إلى المدينة لم ينس وطنه، بل غرس في قلوب أصحابه أن الدفاع عن الأوطان شرف يتجاوز حدود الجغرافيا، ليصبح عبادة وقربة إلى الله، لأنه صون للدين، وحماية للعرض، ورعاية للإنسان. علّمهم أن حب الوطن من الإيمان، وأن الذود عنه شرف لا يوازيه شرف، وحارب من أجل كينونة الدين والوطن، وبذل في سبيل ذلك الغالي والنفيس.

ومن هنا صار الدفاع عن الوطن شرفًا عظيمًا؛ لأنه يجمع بين واجب الشرع وواجب الإنسانية، ويُترجم صدق الانتماء بالفعل والتضحية لا بالشعارات.

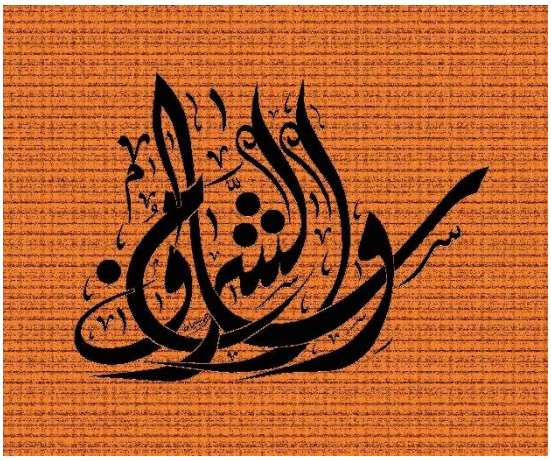

إنه شرف يفتح للأمة أبواب البقاء والارتقاء والعز والسؤدد والكلمة المسموعة، ويصنع من دماء الشهداء أنهار نور تمهّد دروب الحرية والكرامة للأجيال القادمة، ويجعل أيضًا من دمائهم الزكية مدادًا يُكتب به في سجلات الشرف والمجد والعزة والفخار.

وهكذا فإن كل مَن يذود عن وطنه بدمه، أو بفكره، أو بعلمه، أو بعمله، أو بماله، إنما يشارك في ملحمة الدفاع الكبرى التي تجعل الوطن حصنًا حصينًا قويًّا مهابًا، وتبقي رايته عالية خفاقة، وتظل مظلته شامخة حامية، ويظل اسم أهله مقرونًا بالعزة والوفاء. إنه وسام الشرف في الدنيا،

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد – صحيح.

وبشارة الشهادة عند الله في الآخرة، (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة: ١٩٠).

ما أشكال الدفاع عن الوطن؟

أشكال الدفاع عن الوطن متعددة، وهي أشبه بحلقات متكاملة، يكمل بعضُها بعضًا، ويمكن إجمالها في ما يلي:

١. **الدفاع العسكري والأمني:**
بالروح والسلاح، والتصدي للعدوان الخارجي والإرهاب، وحماية الحدود والأرض والعرض.

٢. **الدفاع العلمي والتقني:**
بالبحث والابتكار، ومنافسة الأمم في ميادين العلم والمعرفة والتكنولوجيا والتقنيات الفائقة؛ فالتفوق العلمي والتقني أصبح حصنا استراتيجيا للأوطان.

٣. **الدفاع الفكري والثقافي:**
بنشر الوعي الصحيح، ومجابهة الشائعات والأباطيل، والتصدي لحملات التشويه والتضليل، مع حماية الهوية من الذوبان، وصون التراث والقيم لتبقى الأمة راسخة في وجدانها وثوابتها.

٤. **الدفاع الاقتصادي:**
بالإنتاج والإتقان، وترشيد الموارد، ودعم الصناعات الوطنية، وتحقيق الاكتفاء الذاتي.

٥. **الدفاع الاجتماعي:**
بالمحافظة على الأسرة متماسكة، وبناء جيل قوي معتزّ بدينه ووطنه، ونشر قيم التكافل والتراحم بين جموع مكونات المجتمع والأمة.

٦. **الدفاع الأخلاقي:**
بترسيخ القيم النبيلة والقدوة الصالحة، ومحاربة الفساد، وصيانة المال العام، واحترام القانون والنظام.

٧. **الدفاع الإعلامي والفني:**
بتقديم الصورة المشرقة للوطن، وتوظيف الكلمة والصورة والدراما في بناء وعي الأجيال ودعم قضايا البناء والقيم الدافعة للتقدم.

٨. **الدفاع المدني والتطوعي:**
بالمشاركة التطوعية والفاعلة في مواجهة الأزمات التي تواجه الوطن أو المواطنين، والإسهام في إنقاذ الأرواح، وإغاثة الملهوفين، وخدمة المجتمع.

وغيرها من الواجبات كل ميدان من ميادين الحياة.

الصحابة الكرام.. مضرب المثل في شرف الدفاع عن الدين والوطن

الصحابة الكرام، رجال عظام صدقوا ما عاهدوا الله عليه، بذلوا أموالهم وأنفسهم وأوقاتهم في سبيل نصرة دينهم وحماية أوطانهم، فكانوا قدوة خالدة في التضحية والعطاء والفداء.. وإن تاريخهم المضيء لخير شاهد على أن بناء الأمم لا يقوم إلا على الإيمان العميق، ونشر العلم، والبذل الإنفاق، والدفاع المستميت عن الحق والوطن.

ونستجلي ذلك من خلال نماذج حية من هؤلاء الأماجد وغير كثير...

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه):

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، رفيق درب النبي (ﷺ) وصاحبه في الهجرة، وأول خليفة للمسلمين بعد وفاته، قدّم أروع صور العطاء والفداء في سبيل الدين والوطن.

فقد كان من أثرى رجال قريش، لكنه لم يتردد لحظة في بذل ماله كله نصرة للإسلام.

ففي إحدى الغزوات، حين دعا النبي (ﷺ) المسلمين إلى الإنفاق، جاء أبو بكر بماله كله تاركا لهم الله ورسوله.

بهذا الموقف المشرق جسّد أبو بكر (رضي الله عنه) معنى الإيمان الصادق والتضحية الكاملة، إذ اعتبر أن بقاء الدين والوطن أهم من بقاء المال والمتاع، فكان قدوة للأمة في أن نصرة العقيدة تحتاج إلى بذل كل غالٍ ونفيس.

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

الفاروق عمر (رضي الله عنه)، الرجل الذي أعزّ الله به الإسلام، جمع بين العدل والقوة، وبين البذل والإنفاق، وكان دومًا في الصفوف الأولى للدفاع عن الدين والوطن.

ففي غزوة تبوك كذلك، بادر عمر فجاء بنصف ماله، طمعًا في أن يسبق صاحبه أبا بكر، فلما علم أن أبا بكر جاء بماله كله، قال: لا أسابقك إلى خير أبدًا يا أبا بكر إلا سبقتني إليه.

كان عمر يرى أن بذل المال في سبيل الله من أعظم صور الجهاد، لأنه يمد المجاهدين بالقوة والزاد والسلاح. ولم يكن عطاؤه مقصورًا على المال فقط، بل كان بنفسه في ساحات القتال، يذود عن الإسلام ويؤمّن الدولة الناشئة ضد الأعداء.

ولم يتوقف جهده عند ميادين الحرب، بل امتد إلى بناء مؤسسات الدولة وحماية كيانها الداخلي، فأنشأ نظام الدواوين لتنظيم موارد الدولة وتوزيعها بالعدل بين المسلمين، وليكون ضمانة لتطوير مؤسسات الأمة وحسن إدارة شؤونها.

هكذا قدّم عمر مثالًا عمليًّا على أن الدفاع عن الدين والوطن لا يكتمل إلا بالجمع بين العطاء المادي والموقف العملي في الميدان، وبين البناء المؤسسي الذي يحمي الدولة ويصون وحدتها.

عثمان بن عفان (رضي الله عنه):

عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، ذو النورين، أحد كبار أثرياء الصحابة، جعل ماله كله جسرًا لنصرة الإسلام وتقوية شوكة المسلمين. وفي غزوة العسرة، حيث اشتدّت حاجة المسلمين للزاد والسلاح، فقام عثمان بإنفاق عظيم لم يعرف له مثيل؛ جهّز ألف بعير بكامل عدتها.

فعن عبدالرحمن بن سمرة (رضي الله عنه) قال: جاء عثمانُ بنُ عفَّانَ إلى النبيِّ (ﷺ) بألفِ دينارٍ في ثوبِهِ حين جهَّز النبيُّ (ﷺ) جيشَ العُسْرةِ، قال: فصبَّها في حَجْرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فجعَل النبيُّ (ﷺ) يُقلِّبُها بيدِهِ ويقولُ: (ما ضَرَّ عثمانَ ما عَمِل بعد اليومِ) [٢].

ولم يقف عطاؤه عند الغزوات فحسب؛ بل كان سبّاقًا في شراء بئر رومة وجعلها صدقة للمسلمين حين كانوا في حاجة ماسة إلى الماء، فصار إنفاقه دفاعًا عن حياة الناس ومعاشهم كما هو دفاع عن دينهم وكرامتهم.

وعندما حاصرت الفتنة داره، رفض أن يريق دمًا مسلمًا في سبيل نفسه، وضحّى بروحه ليبقى الوطن الإسلامي موحدًا، مستبسلًا في حماية عقيدة الأمة.

علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه):

لم يكن دفاع الإمام علي (كرَّم الله وجهه) عن الإسلام مقتصرًا على ميدان السيف والجهاد العسكري، بل كان له دور علمي وفكري عظيم في حماية الدين وصيانة الوطن الإسلامي.

فقد كان من أفقه الصحابة وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ، وكان مرجعًا في القضاء والفتيا، فحفظ بفقهه وأحكامه حقوق الناس، وأقام ميزان العدل الذي يحمي وحدة المجتمع واستقراره.

كما تصدى علي للتيارات الفكرية المنحرفة، وردَّ على الشبهات التي كانت تستهدف عقيدة المسلمين، فكان يحاجج بالحجة والبرهان، مدافعًا عن نقاء التوحيد وصفاء العقيدة.

---

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، وأحمد (٢٠٦٣٠)، والحاكم (٤٥٥٣) باختلاف يسير، شعيب الأرناؤوط | المصدر : تخريج زاد المعاد – إسناده حسن.

وفي خلافته قدّم خطبًا بليغة وكلمات جامعة أرست أسس الحكم الرشيد ودعائمه، وربطت بين العلم والعمل، فحمت الأمة من التمزق والضعف.

وهكذا جمع الإمام علي بين قوة السيف وقوة العلم، فكان دفاعه عن الدين والوطن متكاملًا، يذود عن العقيدة بالبرهان، وعن الأمة بالسنان، حتى غدا رمزًا خالدًا للعلم والجهاد معًا.

أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه):

أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح (رضي الله عنه)، أمين هذه الأمة، وأحد العشرة المبشَّرين بالجنة، وأحد الأوائل الذين أسلموا وناصروا الدعوة المحمدية منذ بدايتها.

كان مثالًا في الإيمان العميق واليقين الراسخ، يقدّم دينه على كل شيء، حتى على أعز الناس إليه، فقد واجه أباه في معركة بدر، وكان مضطرًا أن يختار بين عاطفة الأبوة وواجب العقيدة والوطن، فاختار دين الله، وضحّى بقرابة الدم من أجل بقاء الحق.

وقد عُرف بالزهد والإنفاق، فما كان يحرص على مال أو متاع، بل كان يرى في البذل أعظم وسيلة لنصرة الدين وحماية الوطن.

قاد جيوش المسلمين في الشام، فأدار المعارك بأمانة القائد وحرص الأب، مجاهدًا بماله ونفسه حتى فتح الله على يديه بلادًا واسعة، فكانت إنجازاته دفاعًا عن الإسلام ونشرًا لنوره.

وحين تفشّى الطاعون بالشام، أبَى أن يترك جنده أو ينجو بنفسه، فبقي ثابتًا بينهم، يواسيهم ويقودهم حتى قضى نحبه شهيدًا صابرًا محتسبًا. وهكذا جسّد أبو عبيدة معنى الإخلاص في الإنفاق والتضحية، ومعنى الثبات في حماية الدين والوطن حتى آخر لحظة من حياته.

سعد بن معاذ (رضي الله عنه):

سعد بن معاذ سيد الأوس (رضي الله عنه)، وأحد كبار الأنصار الذين نصروا رسول الله (ﷺ) بعد الهجرة، ضرب أروع الأمثلة في التضحية والبذل للدفاع عن الدين والوطن. فقد بادر منذ إسلامه إلى حماية الدعوة في المدينة، ووقف موقفًا بطوليًّا في غزوة بدر حين خاطب النبي (ﷺ) قائلاً: "امضِ يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد..." بهذا الموقف الجليل الحازم الحاسم أعلن استعداد الأنصار لبذل المال والنفس في سبيل نصرة الإسلام.

كان سعد ينفق من ماله بسخاء على تجهيز الغزوات ودعم المجاهدين، ويقف بنفسه في الصفوف الأولى مدافعًا عن وطنه الجديد، حتى أصيب بجراح بليغة في غزوة الخندق. وعلى الرغم من إصابته ظل ثابتًا على مبدئه، حتى استُشهد متأثرًا بجراحه بعد أن حكم في بني قريظة حكمًا عدلاً.

وقد اهتز عرش الرحمن لموته، تقديرًا لمكانته ووفائه وبذله، ليظل اسمه شاهدًا على أن التضحية الصادقة في سبيل الله تبني الأمم وتحمي الأوطان.

هل الدفاع عن الوطن مسؤولية الجيش والمؤسسات الأمنية فحسب؟

الدفاع عن الوطن ليس مسؤولية الجيش والمؤسسات الأمنية فحسب، وإن كان دورهم في المقدمة، فهم درع الوطن الحامي وسيفه البتّار.

لكن المؤكد والذي يجب أن نزرعه في نفوس الصغار والشباب والكبار أم الدفاع عن الوطن شرف، ومسؤولية شاملة تتوزع على كل فرد بحسب موقعه وقدرته ومهاراته وخبراته وإمكاناته:

- **فالمعلّم** يدافع عن الوطن حين يزرع في عقول طلابه القيم الصحيحة والانتماء الأصيل.

- **والعالم والمفكّر** ينال شرف الدفاع عن الوطن حين يُحصّن العقول من الشبهات، ويردّ عن الأمة حملات التضليل والتشويه.
- **والطبيب** يدافع حين يحفظ أرواح الناس ويصون صحتهم بالعلاج الصحيح، فيبقى المجتمع قويًّا قادرًا.
- **العامل والمهندس والفلاح** يدافعون حين يعمرون الأرض ويكدّون في سبيل الاكتفاء الذاتي والبناء والتطوير.
- **الأديب والفنان والإعلامي** يدافعون حين يقدّمون صورة مشرقة عن وطنهم، ويزرعون الوعي والجمال بدل التزييف.
- **كل مواطن** يدافع عن وطنه حين يحافظ على النظام العام، ويؤدي عمله بإخلاص، ويحمي المال العام، ويغرس القيم في بيته وأسرته.
- **فالدفاع عن الوطن منظومة متكاملة**، تبدأ من الجبهة العسكرية ولا تنتهي عند حدود البيت والمدرسة والجامعة والمصنع. إنه شرف جماعي يشارك فيه الجميع، لأن الأوطان لا تبنى إلا بتكاتف سواعد أبنائها جميعًا.

ما منظور الإسلام للحرب؟

منظور الإسلام للحرب يختلف جذريًّا عن كثير من التصورات البشرية، إذ جعله وسيلة اضطرارية، لا غاية في ذاته، ومقيدًا بضوابط أخلاقية وإنسانية صارمة.

ويمكن تلخيص هذا المنظور في النقاط التالية:

١. **الحرب في الإسلام استثناء لا أصل:**

الأصل هو السلم، والقرآن صرّح بذلك: (وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (الأنفال: ٦١)، فلا يُشرع القتال إلا عند الضرورة القصوى، ومن ذلك: الدفاع عن النفس، رد العدوان، حماية المستضعفين، حماية العقيدة والمقدسات.

٢. **الغاية حماية لا إهلاك:**

الحرب في الإسلام ليست توسعًا أو طمعًا في مال أو أرض، بل هي لحماية الدين والنفس والعرض والكرامة الإنسانية، كما قال تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) (النساء: ٧٥).

٣. **ضوابط أخلاقية صارمة:**

- لا يُقتل شيخ ولا امرأة ولا طفل ولا راهب في صومعته.
- لا يُمثَّل بالقتلى ولا تُقطع الأشجار ولا تُفسد الأرض.
- المعاملة الإنسانية للأسرى، وقد ضرب النبي (ﷺ) وأصحابه أروع الأمثلة في ذلك.

٤. **الحرب وسيلة لفتح أبواب السلام:**

ليست الحرب غاية، وإنما هي جسر يُعبر به إلى السلم العادل، فهي حرب لإقرار السلام، لا لإدامة الصراع.

٥. **الجهاد مفهوم أشمل من الحرب:**

فالجهاد في الإسلام يبدأ من جهاد النفس إلى الكلمة الطيبة إلى البراعة في العلم، والإبداع في العمل، إلى الإنجازات الحضارية، إلى المخترعات النافعة للإنسانية، إلى القتال المشروع، ليؤكد أن القوة هي القوة الشاملة (العلمية والفكرية والتقنية والاقتصادية والاجتماعية...) والقوة العسكرية ليست إلا مرحلة من مراحل الدفاع حين تُسدّ سبل السلم.

إذًا فالحرب في منظور الإسلام عمل دفاعي أخلاقي، لا يخرج عن دائرة الضرورة، منضبط بقيم الرحمة والعدل، هدفه الأسمى حماية الإنسان وتثبيت معاني الحرية والكرامة.

القيم النبوية تتجلى لتبهر الدنيا في ساحات القتال

النبيُّ العظيم (ﷺ) قدَّم للبشرية أوَّلَ مدوَّنة أخلاقية للحرب، سبقت اتفاقيات جنيف بـ ١٤ قرنًا

في ميادين الدفاع عن الدين والوطن، ورد العدوان، وأيضا في المواجهة بين الحق والباطل، لم تقتصر شجاعة النبي (ﷺ) على القوة العسكرية والانتصارات المجردة، بل أضاءت قيمه النبيلة دروب الرحمة والعدل والإنسانية.

هنا تتجلّى أخلاقياته كمعيار للفضيلة والصبر، فتعلو الرحمة فوق السيف، وتسبق الإنسانية الانتصار، لتبهر الدنيا، ونشير إلى بعضها فيما يلي:

١- حماية الأرواح البريئة

كان أول ما أوصى به النبي (ﷺ) جنده: صيانة الضعفاء، فقال (ﷺ) : (...لا تغُلُّوا ولا تغدِروا ولا تُمثِّلوا ولا تقتُلوا وليدًا ولا امرأةً ولا شيخًا) [٣] .

وعن رباح بن الربيع كنَّا مع رسولِ اللهِ (ﷺ) في غزوةٍ، فرَأى الناسَ مُجتمعينَ على شيءٍ، فبعَثَ رجُلًا، فقال: انظُرْ علامَ اجتمَعَ هؤلاءِ؟ فجاء، فقال: على امرأةٍ قتيلٍ، فقال: (ما كانتْ هذه لِتُقاتِلَ)، قال: وعلى المُقدِّمةِ خالدُ بنُ الوليدِ، فبعَثَ رجُلًا، فقال: قلْ لخالدٍ: (لا يقتُلَنَّ امرأةً ولا عَسيفًا) [٤] ، والعَسيفُ: الأجيرُ على حِفْظِ الدَّوابِ ونحوِه، لا الأجيرُ على القِتالِ؛ فإنَّ حُكْمَه حُكمُ المقاتِلِ.

فأي عظمة هذه؟! قائد في قلب المعركة، لكنه لا ينسى أن يرفع راية الرحمة فوق السيوف والرماح.

٢- الوفاء بالعهد

في صلح الحديبية، قبل النبي (ﷺ) بشروطٍ رآها الصحابة مُجحفة، حتى كاد بعضهم يرفضها، لكنه آثر السلم على الحرب، وارتضى الصلح؛ لأن في ذلك حقنًا للدماء. فإذا به يتحول بعد قليل إلى فتحٍ عظيم ونصر مبين... هكذا كان محمد (ﷺ) يرى ببصيرته أن سلامًا فيه تنازلٌ أهون من حربٍ فيها دماء.

٣- الأسرى بين الرحمة والتعليم

في غزوة بدر، أوصى النبي (ﷺ) أصحابه بالأسرى خيرا...

فعن أبي عزيز بن عمير، قال: كنتُ في الأسرَى يومَ بدرٍ فقال رسولُ اللهِ (ﷺ): (استوصوا بالأسارَى خيرًا) وكنتُ في نفرٍ من الأنصارِ فكانوا إذا قدموا غداءَهم وعشاءَهم أكلوا التمرَ وأطعموني البرَّ لوصيةِ رسولِ اللهِ (ﷺ) [٥] .

لقد صار الأسير بتوجيهات النبي العظيم (ﷺ) يجد الخبز بين يديه، واكتفي الصحابي بالتمر إيثارًا له.

بل جعل النبي (ﷺ) بعض الأسرى يفدون أنفسهم بتعليم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة، فتحولت الحرب من معركة دماء إلى منحة للعلم والمعرفة.

٤- تحريم الغدر والوحشية

يقول النبي (ﷺ) : (...لا تغدِروا ولا تُمثِّلوا ولا تقتُلوا وليدًا ولا امرأةً ولا شيخًا) [٦] ، ويا لها من كلمات قصيرة، لكنها تهدم إرث قرون من التمثيل والتشويه الذي كان يراه العرب شرفًا في الحرب.

---

(٣) أخرجه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني في المعجم الأوسط جميعهم باختلاف يسير.

(٤) أخرجه شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود – إسناده صحيح.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد– إسناده حسن.

(٦) أخرجه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني في المعجم الأوسط جميعهم باختلاف يسير.

لقد علّم النبي (ﷺ) البشرية أن النصر لا يكون بالوحشية، وإنما بالعدل والرحمة.

٥- تعظيم المقدسات وصون الحرمات

في يوم فتح مكة، حين ارتجّت الأرض بأقدام عشرة آلاف من المسلمين، توقع الناس أن يكون يوم ثأر وانتقام، فإذا بالرسول (ﷺ) يقول: «اليوم يوم المرحمة».

وعن أبي شريح العدوي خويلد بن عمرو قال: لما افتُتحتْ مكةُ قتلت خزاعةُ رجلًا من هُذيل، فقام رسولُ اللهِ (ﷺ) خطيبًا فقال : (يا أيها الناسُ ! إنَّ اللهَ حرَّم مكةَ يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ، فهي حرامٌ بحُرمةِ اللهِ إلى يومِ القيامةِ؛ لا يحلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخرِ أن يسفِك بها دمًا، أو يعضِدَ بها شجرًا، ألا وإنها لا تحلُّ لأحدٍ بعدي...) [٧].

إنها ذروة العظمة المحمدية: قوة في اليد، لكن رحمة في القلب، فلا انتقام ولا إراقة دماء.

٦- ضبط السلوك في ميدان المعركة

ولقد سار الصحابة الكرام على درب سيدنا النبي الرحيم (ﷺ) فعن عليٍّ (رَضِيَ اللهُ عنه) أنَّه قال يَومَ الجَمَلِ: (إن ظَهَرتُم فلا تَطلُبوا مُدبِرًا، ولا تُجهِزوا على جَريحٍ، وانظُروا ما حَضَرَت به الحَربُ مِن آنيةٍ فاقبِضوه، وما كان سِوى ذلك فهو لورَثَتِه) [٨].

وهنا يبيّن الضوابط الأخلاقية في القتال بجلاء:

- إن ظهرتُم: أي إذا انتصرتم على عدوكم.
- فلا تطلبوا مدبرًا: أي لا تتبعوا من انهزم وفرّ من ساحة القتال لتقتلوه، لأنه خرج من المواجهة.
- ولا تُجهِزوا على جريح: لا تُنهوا حياة من أصابته الجراح وأصبح عاجزًا عن القتال.
- وانظروا ما حضرت به الحرب من آنية فاقبضوه: وهنا يقصد الغنيمة فخذوا فقط ما وُجد في ساحة المعركة مما يُستَعمل في الحرب كالأسلحة والأدوات.
- وما كان سوى ذلك فهو لورثته: أما الأموال والمتاع الشخصي للمقاتل فلا يُمسّ، بل يُترك لورثته من بعده.

وهكذا فإنّ النصَّ السابق يُرسِّخ مبدأَ الرحمة والعدل حتى في ميدان القتال، ويمنع الغدرَ والتنكيل، ويُبيّن أن الغنيمة لا تكون إلا فيما يخصّ أدوات الحرب، أمّا الأموالُ والمتاعُ الخاص بالقتلى فهو حقٌّ خالص لورثتهم.

ومن ثَمَّ، كان الجنديُّ المسلم في قلب المعركة يعلم أنّه محكوم بوصايا أخلاقية سامية لا يملك تجاوزها. وهكذا تحوَّلت ساحةُ القتال في الإسلام إلى ميدانٍ منضبطٍ بالقيم والمبادئ، لا إلى ساحةٍ همجية كما عُهد في حضاراتٍ أخرى... وهذا واحد من آلاف الصحابة الكرام الذين تربوا في مدرسة النبوة ونهلوا من النبع الصافي فكانوا خير أمة أخرجت للناس

إشراقة نبوية إنسانية خالدة سبق العالم في أخلاقيات الحروب :

بهذه المواقف العظيمة وغيرها كثير، قدّم النبي العظيم (ﷺ) للعالم أول مدونة أخلاقية للحرب، سبقت اتفاقيات جنيف بأربعة عشر قرنًا. وكان فيها رسول الله (ﷺ) صورة القائد الذي يمزج بين شجاعة الفاتح ورِقة القلب، فلا يُستباح دم، ولا يُنتهك عهد، ولا تُهان كرامة أسير.

وهكذا فإن أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية تؤكد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) لم يكن قائدًا عسكريًّا بارزا ومحنكا فحسب، بل كان رسول الرحمة والعدل والإنسانية للعالمين؛ فقد جعل حتى من أشد المواقف قسوة وهي الحرب، مجالًا لإظهار القيم السامية. لقد علم البشرية أن الإنسانية لا تغيب عند احتدام السيوف، بل تزداد وضوحًا وسط

(٧) ابن جرير الطبري: تفسير الطبري صحيح ثابت.

(٨) البيهقي في معرفة السنن والآثار.

دخان المعارك. فحقًا وصدقًا: هو رسول الإنسانية [٩]، وصدق الله تعالى القائل: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧).

أيقظ الله به الأمة ورفع به الهمة

الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود

وبشارة النبي (ﷺ) له بنصر أكتوبر

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود، شيخ الأزهر الشريف (رحمه الله)، كان واحدًا من أعلام الأمة الكبار الذين جمعوا بين العلم والجهاد الروحي والوطني.

فقد كان صاحب رؤية ثاقبة وهمة عالية في إيقاظ الأمة من سباتها، يربط بين قيم الدين ومقتضيات الواقع، ويؤكد دائمًا أن الإيمان الحق قوة دافعة لحماية الأوطان وصون الكرامة.

ويوم أن أحزب شعب مصر وقيادتها همَّ عدوها الصهيوني الأثيم بعد نكسة ١٩٦٧م، والشعب يتوق إلى أن يتخلص من مرارة الهزيمة ويتذوق حلاوة النصر، فقد جاءت البشارة النبوية من خلال الإمام الأكبر والعالم الجليل الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف الأسبق، الذي جاء إليه سيدنا رسول الله (ﷺ) في المنام وأخذه هو ومعه علماء المسلمين والقوات المسلحة وعبر النبي قناة السويس في إشارة منه بنجاح عبور الجيش المصري،

استيقظ الدكتور عبدالحليم وذهب على الفور إلى السيد الرئيس/ محمد أنور السادات (رحمه الله) وأخبره بما رآه في المنام، (ورؤيا النبي حق) ليرسخ في عقل السادات وفي قلبه ووجدانه أمل النصر والعبور، ويربط على قلبه، في قراره التاريخي الخالد.

وأخذ الدكتور عبد الحليم محمود يقود كتائب الدعوة الإسلامية في كل مكان ليرفعوا الروح المعنوية بين ضباط الجيش المصري وجنوده؛ حتى مَنَّ الله على جيش مصر بالعبور وتحقيق النصر المبين..

هكذا غدا الإمام عبد الحليم محمود رمزًا للقيادة الدينية التي تشحذ الهمم وتبث روح اليقين، فتجعل من الدين قوة حية تسند الوطن في لحظات التحدي والمصير.

ويشاء الله تعالى أن تكون بشارة سيدنا رسول الله (ﷺ) على يديه، تكريما وكرامة لهذا الولي المبارك الذي ولد رحمات الله عليه في العاشر من مايو ١٩١٠م بعزبة أبو أحمد –التي تطل على ضفاف ترعة الإسماعيلية– بقرية السلام التابعة لمركز بلبيس بمحافظة الشرقية، ونشأ في أسرة كريمة شريفة ميسورة، مشهورة بالتقوى والصلاح. ومات بعد أن ملأ الدنيا علما وحلما ومحبة وذكرا.

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(٩) لمزيد من المعلومات راجع:

- د/ جعفر عبد السلام : أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، القاهرة: رابطة الجامعات الإسلامية، سلسلة فكر المواجهة(٢٣)
- د/ جعفر عبد السلام، أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية، بحث مقدم إلى: المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة، جامعة إفريقيا العالمية – الخرطوم، ٢٠١٣م، ص ٢–٢٨ بتصرف.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد يا عباد الله...

ما واجبنا نحو الوطن في حالة السلم؟

جهاد المواطنين وقت السلم من أشق وأعمق أنواع الجهاد؛ لأنه لا يُخاض بالسلاح، بل بالعقل، والمعرفة، والعمل والإبداع والإنتاج.

وهو جهاد يتطلب:

- صبرًا طويلًا.
- وبناءًا متراكمًا.
- وتخطيطًا واستمرارية تمتد عبر الأجيال، لا تكتفي بالنتائج السريعة، بل تؤسس لمستقبل مستقر وقوي.

وهذا الجهاد هو الذي يزرع البذور الصالحة في الأمة، كي تحيا بكرامة وتنافس بقوة. وهو أصعب من القتال. لأنه يحتاج إلى وقت وجهد وتضحية دائمة، بينما الحروب، مهما طالت، لا تدوم مثل مشاريع البناء والعلم.

ولا يمكن للأمة أن تنهض بهذا النوع من الجهاد دون قدوة صالحة.

فالقدوة هي النبراس الذي يهتدي به الناس، وهي التي تترجم المبادئ إلى أفعال... والحمد لله، فإن وطننا يزخر بقدوات رائعة في شتى المستويات، من القيادة العليا إلى العلماء والمربين والمجتمع المدني، الذين يسهمون بوعيهم وسلوكهم في ترسيخ القيم، وغرس المبادئ، وتوجيه الشباب نحو الخير والعمل الصالح، ليكونوا قدوة حسنة للأجيال القادمة، وحين تغيب القدوة، تضيع الشعوب، وتضعف الأمم، ويتيه الأفراد بلا مثلٍ يحتذى.

وهنا ننبه إلى عدم المساس بالرموز والقدوات أو السخرية منهم أو التقليل من شأنهم في وسائل الإعلام أو في غيرها فذلك أمر خطير؛ ذلك لأن فقدان القدوة يعد من أهم أسباب انهيار الأوطان، فالأمم لا تسير في الظلام، بل تحتاج من يقودها بنزاهة وبصيرة وقوة وحلم وحكمة.

بناء الوطن والدفاع عنه مسؤولية جماعية:

وفي ظل هذا المعنى العميق للجهاد والبناء، فإن بناء الوطن مسؤولية جماعية، لا تقع على فرد، ولا جيش، بل هي مسؤولية فكر، وعلم، وشعب بأكمله.

الدفاع عن الوطن لا يكون فقط في ساحات القتال، بل في المعامل، والمدارس، والمزارع، والمصانع.

ولا ريب في أن أقوى سلاح تواجه به عدوك ليس البندقية فحسب؛ بل هو العلم، والإنتاج، والإعمار والاصطفاف الوطني.

إنها البنية التحتية القوية، التي يصعب اختراقها، لأنها قائمة على وعي شعب، وحب وطن، ومشروع حضاري.

الحضارة الإسلامية الزاهرة أنموذجًا:

لقد استمرت الحضارة الإسلامية الزاهرة قوية مؤثرة مُعَلِّمة مُلهمة للآخرين حوالي أربعة قرون، وكانت فيها القيادة والسيادة العالمية للمسلمين؛ لأنهم أبدعوا في العلم واستنبات المعرفة، وطبقوا العلم، وأنتجوا وأبدعوا.

وللإنصاف، فإننا حين نرجع إلى تلك المرحلة الذهبية، نجد أن العلماء المسلمين (لم يكونوا عربًا فقط، بل كان معظمهم من أعراق شتى) اجتمعوا تحت راية دولة إسلامية واحدة، يؤمنون جميعًا برسالة البناء والنهضة.

وقد أسهم هؤلاء العلماء في تأسيس علوم لا تزال تُدرّس حتى اليوم، كـ الخوارزمي، والزهراوي، وابن سينا، وابن خلدون، وابن الهيثم، وابن النفيس، وغيرهم كثير ممن لا تزال نظرياتهم حية في الجامعات العالمية.

إن بناء الإنسان هو جوهر كل حضارة، وهو السلاح الحقيقي في وجه كل تهديد. ولن يكون ذلك إلا إذا اجتمعت القدوة، والعدالة، والعلم، والإنتاج، والقيادة الواعية.

وحتى ينهض الوطن وتنهض الأمة، فلا بد من الاصطفاف الوطني، وهو لا يتحقق إلا إذا كان لدى الناس ما يخافون على فقدانه. حين يشعر المواطن أن له نصيبًا في الوطن، وأمنًا، ورفاهًا، واستقرارًا، فإنه يصطف تلقائيًا خلف قيادته. أما الشعوب التي تعاني من الأزمات المتلاحقة وفقدان الأمن، فإن دعوتها للجهاد أو الدفاع تصبح ضعيفة التأثير. الإنسان الجائع الذي لا يجد الطعام والمنهك الذي لا يجد العلاج، والعاطل الذي لا يجد العمل، لا يمكنه أن يقدّم، لأنه ببساطة لا يملك ما يخشى عليه.

من هنا نفهم أن العدالة والرخاء أساس تعبئة الناس حول أوطانهم. فحين تتحقق العدالة، ويشعر الناس بالكرامة والحقوق، فإنهم يكونون مستعدين للتضحية. أما حين يعيش الناس على هامش الحياة، فلا يمكن أن تطالبهم بالاصطفاف أو البذل... وهذه رسالة واضحة للأمة الإسلامية المنتشرة في شرق الأرض وغربها في شمالها وجنوبها، في طولها وعرضها وعمقها..

وهكذا فقوة الوطن والأمة تبدأ بالعلم والمعرفة والعمل المتقن والإنتاج.

لقد كانت الحضارة الإسلامية في أوجها حين أصبحت نموذجًا عالميًا للمعرفة، والاقتصاد، والزراعة، والثقافة. وكان المسلمون في الأندلس مثالًا للحضارة المزدهرة التي أبهرت الغرب، لا بالسيف، بل بالمكتبات والمدارس والعلوم.

مواجهة الشائعات مسؤولية الجميع (سلما وحربا)

الشائعات هي أخبار أو معلومات غير مؤكدة، أو كاذبة، أو صادقة مُبالغ فيها جدًّا، تُبثُّ من جاهل أو حاقد أو عدو أو صاحب مصلحة، بهدف إشاعة الفوضى وزرع الفتنة بين الناس. وخطرها على الفرد والمجتمع هائل، فهي تهدم الثقة، وتزرع الحزن والخوف، وتقوض الأمن الاجتماعي، وقد تصل آثارها إلى تعطيل مصالح الأمم ناهيك عن تسببها في الظلم والفساد. كما أن للشائعات أثرًا مباشرًا على البناء والتعمير والتنمية، وعلى وحدة الاصطفاف الوطني، وقد تُضعف استعداد الوطن في حالة الحرب أو مواجهة التحديات الكبرى. تمر الشائعات بعدة مراحل: البث، التلقي، والتحريف والمبالغة، ثم إعادة النشر على نطاق واسع، مستفيدة من الأزمات والظروف الصعبة، ومن وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي.

وجاء الإسلام ليواجه هذه الظاهرة بمنهج متكامل: تحريم الكذب، وحثُّ الناس على التبين والتحقق، وتعليم الاستعانة بأهل الخبرة في كل مجال، وتحذير المجتمع من عواقب نشر الشائعات، والحرص على الستر، وإلزام المروّجين للخبر بالصدق.

ومع تسارع التطورات التكنولوجية اليوم، أصبح عبء المسلم مضاعفًا في حتمية: التثبت قبل النشر، والتحقق من المصادر، واستخدام التفكير النقدي. لذلك يجب على المؤسسات التربوية والإعلامية والثقافية والدينية أن تعمل معًا على بناء وعي المجتمع، وإتاحة المعلومات الموثقة بشفافية، وغرس قيم الصدق والدقة والتحري، لضمان بيئة مستنيرة لا مكان فيها للشائعات، فتكون الأمة محصنة ضد الفوضى الفكرية والاجتماعية.

مع التأكيد أن مواجهة الشائعات سلمًا أو حربًا هي مسؤولية كل أحد من أبناء الوطن.

قصة ملهمة
كيف راقب جاسوس الأعداء شباب المسلمين ليكشف قوة الأمة وضعفها؟

أدرك أعداء الإسلام قديمًا وحديثًا أنَّ قوةَ الأمة تكمن في شبابها؛ فأرادوا أن ينهشوا تلك الطاقات، وفَتَحوا كلَّ بابٍ ووسيلةٍ لتخريبها، في وقتٍ غابَ فيه حماةُ الدين وتَكالبَ أعداءُ الإسلام من كل حدبٍ وصوبٍ للقضاء على طاقاتِ الأمة وإفسادِها، حتى بدا أنهم أحرزوا مرادهم.

وإليك هذه الوقفة المعبرة:

لما أراد الصليبيون في أيامِ نهايةِ حكم المسلمين للأندلس غزوَ مدينةِ قرطبةِ وقصرِ الحمراء، آخر معقلٍ للمسلمين بأرض الأندلس، **أرسلوا جاسوسًا لينظر إلى شباب المسلمين: ما هممهم؟ ما طموحهم؟**

تدلَّى الجاسوسُ في بلاد المسلمين وتجول، حتى وقَعَ في وادٍ فَوجَدَ شابًّا من شباب الأمة يبكي، متحسّرًا نادمًا. فقال له: ما بالك يا بني؟

قال: إني أتعلم الرمي، وقد رميتُ بعشرين سهمًا فأصبتُ ثمانيةَ عشرَ وأخطأتُ بسهمين، فأبكي على ذلك؛ لو هجمَ علينا الأعداء فلن أستطيعُ الدفاع عن بلادِ الإسلام؛ لأني أخاف أن أخطئَ في الرمي.

فرجعَ الجاسوسُ إلى قومه وقال: لا طريق لكم لغزوِ بلادِ المسلمين، فأبناؤهم بهذه الهمة وبالتالي لا يُخشى عليهم.

ويدور الدهرُ، وتتغيرُ أحوالُ الناس، ويَغرقُ بعضُ شباب الأمة فيما يؤخرهم عن هممهم: اللهوُ، والعبثُ، والخِنا، والمجونُ، والحبُّ والرغباتُ التي تشغل القلب والذهن.

فيعودُ الجاسوس بعد سنواتٍ، ليرى إن كانت الأرضُ قد صارت ميسورةَ الغزو أم لا؟

فيجد شابًا يبكي في وادٍ، فيسأله: ما يبكيك يا بني؟

فيقول: أبكي على حبيبتي.

فعادَ الجاسوسُ إلى قومه مُبشرًا: لقد آنَ الأوان لغزو بلادِ المسلمين.

وهكذا فإنَّ الأعداء يعلمون أنَّ همَ الشباب إنْ صارت في العبادةِ والذكر، وفي معالي الأمور، ولديهم وعى فيما يَخططُ له العدوُّ، فلن يستطيعوا المساسُ بأمن الأمة؛ لذلك كانت الهجماتُ مركَّزةً على تحطيم الشباب عبرَ منصات اللهو والتفاهة، وبواتق الملذات والشياطين...إلخ.

لذلك فإن الأعداء لا يريدون من الشيوخ والشيوخ العجائز شيئًا بقدرِ ما يريدون شبابَ الأمة، ليقضوا عليهم فكريًّا قبل أن يقضوا عليهم عسكريًّا أو يهزمونهم اقصاديًّا وتكنولوجيا...إلخ.

وبناء على ما سبق فلا بُدَّ للمسلم أن يدركَ سِرَّ المواجهة مع هذا الغزو (الاستعمار الجديد).

وعلينا أن نعلم أن هذا الغزوَ أفتكُ ألفَ مرةٍ من غزو الدبابة؛ إنه غزوٌ فكريٌّ يُسعى فيه إلى تدمير القيمِ والمعتقدات وهدمِ المبادئ، وهو أعظمُ وأخطرُ من قتل الجسد، لأنَّه إنْ حطَّمَ الإنسانَ من الداخلِ صارَ تابعًا لأفكارِ الخصم: مسلمٌ بالاسمِ غربيٌّ بالفكرِ، غربيٌّ بالقناعاتِ، غربيٌّ بالأهواءِ والشهوات والشبهات. وهذه قضيةٌ بالغةُ الأهمية، قال تعالى: (... وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة: ٢١٧).

وعلينا أن نعلم جيدا أن جاسوس الأعداء كان يراقب الشباب لقياس قوة الأمة أو ضعفها؛ فإذا سمت هممهم بالدين والهمة ارتفعت صعوبة الغزو، وإذا انصرفت هممهم إلى اللهو والغفلة صار الغزو أسهل [١٠]، ولدى أعدائنا جواسيس كثر، ومن ثم يجب علينا أن نبرع في تحصين أولادنا، وعلى أن نصطف خلف قيادتنا وجيشنا، ومن قبل نتسلح بإيماننا بالله، يقول النبي (ﷺ): (الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ..) [١١].

واجبنا نحو شباب الأمة:

واجبنا نحو شباب الأمة أن نعتني بهم كأمانةٍ في أعناقنا وركيزةٍ لمستقبل أمتنا؛ نغرس فيهم القيم الصحيحة من إيمانٍ ومعرفةٍ وأخلاق، ونوقظ فيهم همَ الجدِّ والعمل، ونحميهم من موجات اللهو والعبث والاختراق والانحراف التي تفرّقُ طاقاتهم.

ولا يكفي التعبير عن القلق بل لا بد من بناء بيئةٍ تربويةٍ واجتماعيةٍ واقتصاديةٍ تُمكنُ الشاب من الإبداع والإنتاج: تعليمٌ متمكن، وفرص عمل حقيقية، وفضاءاتٍ ثقافية وفنية ورياضية، ونماذج قيادية صالحة تُلهِمهم وتوجِّههم. فالشاب المعافىُ القويُّ الهمّة هو حصن الأمة ومحرّك نهضتها، وعلى كل مؤسّسةٍ (أسرة، مسجد، مدرسة، جامعة، وسُلطة) أنْ تضطلعَ بدورها بجدٍّ ومسؤوليّةٍ لصون هذه الطاقات وتعزيزها.

وإليكم الإجراءات إجراءات تنفيذية مقترحة

- **استدامة تطوير المناهج والبرامج التعليمية**: إدراج مناهج تُوازن بين العلم الديني والعلم العصري، ومهارات تعزز التفكير النقدي وريادة الأعمال، مع تدريب المعلمين على بناء شخصية شبابية مسؤولة ولديه وعي وطني.
- **برامج توجيه وإرشاد**: إقامة شبكات من العلماء والخبراء والمهنيين لتوجيه الشباب فكريًّا ومهنيًّا واجتماعيًّا.
- **مراكز شبابية ومجتمعية**: تفعيل دور الأندية ومراكز الشباب،لتسهم في بناء الشباب وتنمية مهاراتهم وتأهيلهم للحياة والعمل والانتاج.
- **فرص تدريب مهني ووظيفي**: بإبرام شراكات مع القطاع الخاص لبرامج تدريب، تدريب تعاوني ومنح تشغيلية لدعم دخول الشباب لسوق العمل.
- **تطوير الإعلام والمحتوى**: بدعم محتوى هادف وإسلامي وقيمي عبر المنصات، وتشجيع الإنتاج المحلي الرقمي والبرامج التي تُحافظ على الهوية وتكافح التحريف والانحراف.
- **دعم الأسرة وتمكينها**: بعقد دورات لأولياء الأمور في التربية الحديثة، واستشارات أسرية للحد من التفكك وتأثيرات السواء.
- **خدمات صحية ونفسية**: توفير رعاية نفسية وإرشاد للشباب، وخطوط مساعدة وبرامج وقائية لمواجهة الإدمان والاكتئاب والضغوط.

---

(١٠) نقلاً عن: أحمد عبد الله السلمي، قصص مؤثرة ومواقف معبرة وطرائف رائعة من أطفال الإسلام وشبابه، السعودية: للمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالأحساء، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، ص١٠-١٢ (بتصرف). وانظر: خطبة بعنوان: «رسالة إلى شباب الأمة» — العبد الرحمن بن علوش المدخلي، جامع التقوى بأبي عريش.

(١١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

- **برامج تمكين اقتصادي**: قروض ميسرة للمشروعات الصغيرة، حاضنات أعمال للشباب، وبرامج تعليم مالي لريادة الأعمال.
- **مشاركة شبابية في صنع القرار**: مجالس استشارية شبابية على مستوى المجتمع والمؤسسات الأكاديمية والحكومية لصياغة السياسات التي تخصهم، وتفعيلها والاستفادة من التجارب الدولية في هذا المجال.
- **مؤشرات قياس ومتابعة**: إنشاء آليات تقييم دورية (مؤشرات أداء) لقياس أثر البرامج وتعديلها، مع نشر تقارير شفافة.
- **شراكات فاعلة**: تنسيق بين المساجد، ودور العبادة، المدارس، الجامعات، منظمات المجتمع المدني، والقطاع الخاص لضمان استدامة بناء الإنساء بناء صحيحا. وبالله تعالى التوفيق

اللهم اكتُب أسماءنا في سجلات المؤمنين الموحدين، وفي ديوان المرحومين، وارفع أقدارنا في علّيين، وأنزل علينا السكينة والطمأنينة، ونور اليقين

نسأل الله أن يبارك في أوطاننا ويحفظها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﷺ ...) (الأعراف: ٤٣)... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman55555@gmail.com

تم تدشين صفحة #معارج_الدعاة للدكتور أحمد علي سليمان، للإسهام في إثراء العمل الدعوي والدعاة يرجى متابعتها ونشرها

https: //www.facebook.com/share/١٦u٦EDacEw/?mibextid=LQQJ٤d